

## من ذكريات مرحلة الابتدائي ... أذكر صوتي الصغير الهادي مع صوت الصغيرات الهادي

### في حماس شبه هستيري منهن وهن يكررن بطريقة تشبه تلاوة القرآن

{ إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّنَا، وَرَبِّيَ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛  
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالِمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.}}

اذكرني مع معلمتي ..وانا اسألها بصوتٍ صغير يعاني تآتأة الخجل ..مع شهبقات صغيرة متقطعة بين الكلام (بيدوانها كانت طريقي وقتها ملئ الهواء في رتي التي تنقبض من الخجل عند الكلام مع المعلمات ) ...كانت تآتأتي تسأل بخجل شجاع ..ان كانت هذي الإجابة (ربي الله الذي رباني ..الخ ) هي قول من الادب ان أقول قبلها.. قال الله تعالى ..واقال الرسول الكريم !!!! كانت ملامح معلمتي غير مرحبة ب سؤالي ..رغم ذلك كان لطفها يغلب غضبها وهي تقول لي بمحبة (يا حبيبتي هذا هو الجواب ..احفظيه عشان تنجحين ولا تقولين قبله قال الله تعالى ولا قال الرسول الكريم ) ومضت سنوات على سؤالي وهو باقى معي متناقل من مراحل عمر ودراسة وتجارب وحياة الى أخرى ..مضى بي العمر بين قراءات وتأملات وتجارب ووقفات، وعرفت في طريقي ان ما كررته ل انجح في المدرسة ..هو قول بشري اجتهادي من اقوال احد الائمة وشيوخ الإسلام جزاهم الله الخير و الجنة ،وعرفت حديث الرسول الحبيب الكريم الذي اختصر الجواب (فيأتيه آتٍ في قبره فيقول: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ) .

كنت استغرب كيف لم يركزوا في تعليمنا على هذا الحديث الشامل الكامل ...لكن سؤال الطفلة كان قد تعاضم مع الوقت ورحت اسأل عن كيف ان الجواب الهادي في طفولتي كان بمثابة الجواب الوحيد ..وهل هناك إجابات أخرى استطيع اننا ان اصلها .

عشت حتى لحظتي هذي حياة فريدة ..كما ان حياة كل مخلوق فريدة ... مررت بجبال و اودية و ضريتي الدنيا بزلازل وبراكين وانعم الله علي بأ مطار خير وبساتين ..واختبرت محن ونعم لا تحصى ..وتلمست الله فيني وفيما حولي ..وقرأت أوراق و اشخاص و احداث و أشياء واعرف بقليل معرفتي و قليل خبرتي وعظيم جهلي ان طريق الإجابة لسؤال الطفولة العظيم هو طويل جدا وانه قد يستغرق مني الحياة كلها .. وان كل جواب سأحصل عليه سيكون جزء من جواب ..رغم ذلك فضلت ان تكون لدي أجزاء من الصورة ضمن إطار السؤال .. وان لا يبقى سؤالني ثقب اسود بتلعتي كما ابتلع الكثير ممن قدموا للحياة ورحلوا .. دون ان يعرفوا.. انفسهم ..الله .. دورهم الحقيقي في الحياة ..ما هي اسئلتهم ..ما هي اجوبتهم ..الخ .

وكنت في قلق داخلي مرده ان الجواب قد يتلاشى مع تبخر ذاكرتي مع جسد ميت تذهب معه ذاكرته.. بهذي الطفولية البسيطة كنت افكر..ولا اخجل من القول .. وما زلت ، ذلك ان هذا الأسئلة الكبرى متصلة تماما بالفطرة..والفطرة فينا بسيطة وتتحدث بشكل مباشر ولا تستخدم قاموس العقل المعقد من الكلمات المنمقة بل تستخدم قاموس القلب من الكلمات الصافية السلسيل .

كان قد استقر في قلبي مع الوقت بأني سأصل الى جواب (مني ) ( لي ) يطمئن له قلبي ..لا يعطل عقلي..ترضاه فطرتي . كنت اكتب إجابات و اعود ل امسحها ..لاني اجدها صغيرة جداً جداً قاصرة لا ترقى مهما كتبها في صفحات طويلة لتقابل الكلمتين المعجزة (من ربك ) ، رافق سؤالني المكنون في قلبي ان رحمني الله وانعم علي بأني من ذوي الروح العاشقة للاختلاء مع فضاء ربهات تفكر وتسأل و تندهبس وتدمع من معجزات الله في الكون ، و في كل اختلاء كنت دوماً أتقدم خطوة الى الامام ..ويصبح معي قطعة من (بازل ) الجواب..ثم اراجع الجواب فأجده غير وافي ..فأعود لمسح الجواب و البدء من جديد .. جهلي الكامن لم يكشف لي وقتها الستار بأني كنت ابحت بالنسق المتعارف عليه واني كنت أسيرة رغبة جاهلة مغرورة بالتفوق والوصول ل جواب كبير لأكبر سؤال يواجني ويتحدى معرفتي .

الى ان كان عصر جمعة في خلوتي فوق سطح مسجد الطين ..استلقي بأتجاه السماء اتحرى هطول الإجابات لتفكرات كثيرة ..كنت في حديث روي اجمع التأملات السابقة وقصاصات متناثرة .. ، رحلت اجمع الحقائق كومبيض برق يختصر مسيرة البراكين و البساتين ، كان عصر رحمة من ربي ان رحم ضعفي وقل حيلتي وجعل ضمن قصف البرق الذي اجمع فيه تأملاتي السابقة ان شق سماء روي برق مختلف ..وللحظة أتصور ان الإجابة قفزت باتجاهي عابرة العديد من المحطات المفترض ان امرها ..ك نعيم قدم الي من قلب السماء السابعة .. تنبه قلبي اني لم اصل للجواب طوال الستين .. ذلك اني سلكت الطريق الخطاء للإجابة ..كنت دوماً ابحت في دائرة الإجابات التي تنطفي مع الذاكرة ..واني اكرس الخطاء الذي اخشاه ، وان غرور و جهل دفين فيني كمخلوق خطاً تواب .. يريد ان يعوض قول الاخرين ب قول شخصي ..لا لشيء الا لأقول لنفسي تفوقت .. ظلم و جهل ابن ادم فيني ..كاد يريديني ..وانا ابحت عن جواب اكتبه انا ..ليموت مع الذاكرة .. هذا نحن البشر..نبحث عن التعقيد ..عن إجابات نصنعها نحن حيال الأمور العظيمة ..وان كانت الإجابات ناقصة ..لنمجد فيها عقلنا و قدراتنا .. ويطلقها البعض أمثال سائرة .. أو إجابات يروض بها المزيد من العقول و يصنع اتباع .

استقيمت في جلستي وانا احدث نفسي أن الجواب الذي ابحت عنه ..كان في سؤالني وانا طفلة ..وانا اسأل معلمتي .. (هل أقول قال تعالى)...كان الجواب موجود في فطرتي لولا ان المدرسة والمجتمع تفرض علي إجابات ل أنجح، يا للغشاوة ..كيف يمكن ان تكون الإجابة دوماً أمامنا ..ولكن الجهل يعميها .. كيف ان أمور التفكير بين المرء و ربه ..تتحول الى منهج يتم تلقينه ..وليس روح يتم رطبها بمعاهد العز من عرش الرحمن ، تأملت لحظتها ان إجابة كبرى ل من ربك ..لا استطيع ان اصنعها انا ..لا يستطيعها الأرض و من عليها ..ذلك ان الله حمانا من ظلمنا و جهلنا وترك لنا الإجابات لكل شيء في كتابه ..و طلب منا التفكير و التأمل للوصول لها ..تحدينا و تميزنا هو قدرتنا ان نصفو بقلوبنا مما علق بها من قولبة التعليم والمجتمع و أن نطلق ارواحنا في رحاب كتاب الله لتقطف اجاباتها من بساتين كلم الله .

امسكت المصحف الأزرق ..وبين صفحاته الإجابات تعانق عيني بكلم هائل ..الاجابة على.. من ربي ..آيات كثير جدا ..في سور كثيرة ..يقول الله فيها من يكون ..وما الإجابة ...بكلمات من الله تنقش في الروح فلا تذهب مع ذاكره عقل جسد ميت ..وحدها الروح يبقى نقشها حين يرحل الجسد ..و حدثت نفسي ..يا رب كل شيء ما اعظمتك و ما اصغرني ..ما اعلمك و ما اجهلني ، ان واحدة من أوجه اعجاز القرآن ..انه تحرير لكل انسان من مكعبات البشر الضيقة ..ومن الإجابات البشرية الجاهزة القاطعة لفرصة النقاش والاثراء والتفكير والتأمل . واني لا افهم كيف ان المدارس والائمة والكتب ..لا يقولون لنا ( ليحصل كل واحد منكم على اجابته على سؤال .. من ربك ؟؟؟ ) بإجابة من كتاب الله ولينقش ذلك في روحه ) .اجابات تلتقي مع فطرة كل واحد منا.. ويختبرون الطلبة فيما توصلوا له من إجابات .. ليس الواجب على الإباء و المدرسة والمجتمع ان توثق علاقة الطفل بكتاب الله وتجعله يفهم قبل ان يحفظ ..و يحب قبل ان يجبر .

لقد كان عصر انتصاري وانا اخرج من ضيق جهلي ومحدودي ..الى رحاب اعجاز ربي .. كان قلبي المقبل بشغف على الإجابات المؤكدة قد بدأ التمهل عند ايات كريمة اشارت بوصلة فطرتي وحديسي ان تمهلي هنا ..و عقلي بارتياح يقول هي اجابتك ... و روي تننفس بهدوء استعدادا ل نقش ابدي ..ل تكتب من سورة الأنعام :

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَالِقُ الْغَيْثِ تُوْفِكُونَ (٩٥)  
فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَفْهِيمُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)  
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)  
وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨)  
وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مِنْهُ خَضِرًا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّهْمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَمُ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)  
وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (١٠٠)  
بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)  
ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)  
لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) صدق الله العظيم

ونقشت قول النبي الكريم ((من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم)).

**هذا هو ربي ..ف.. من ربك !!!!**